مباحث علوم القرآن عند أبي شامة المقدسي (ت 665هـ)
في كتابه
المرشد الوجيز إلى علوم تتعلق بالكتاب العزيز

أ.م.د. اسماعيل مخلف خضير
الجامعة العراقية – كلية الآداب
قسم علوم القرآن

ملخص البحث

(مباحث علوم القرآن عند أبي شامة المقدسي – ت 665 ه- المرشد الوجيز إلى علوم تتعلق بالكتاب العزيز) وهو موضوع بكر لم يكتب به أحد حسب علمي واطلاعي ، وكانت خطة البحث مشتملة على : مقدمة ومبحثين وخاتمة ثم المصادر والمراجع

المقدمة وذكرت فيها سبب اختيار الموضوع وخطته

المبحث الاول : فكان عن أبي شامة المقدسي وكتابه

المبحث الثاني : درست فيه أنواع علوم القرآن التي تناولها أبي شامة رحمه الله

الخاتمة وذكرت فيها نتائج البحث وتوصياته

ثم ثبت المصادر والمراجع

وختاماً لعلي بذلت جهداً متواضعاً في هذا البحث ، فما كان فيه من صواب فمن الله وحده ، فله الحمد في الاولى والآخرة ، وما وجد فيه من خطأ أو زلل أو سهو فمن انفسنا والشيطان ونستغفر الله لذلك.

المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على خاتم النبيين وعلى آله الطاهرين وصحابته الاكرمين ومن تبعهم بإحسان الى يوم الدين .

وبعد ..

فلقد كان اعتناء العلماء بالقرآن وعلومه مما لا يخفى، فما تكاد تجد عالماً من علماء هذه الأمة إلا وله مشاركة في أحد علوم القرآن الكريم.

ولقد تنامت هذه الدراسات في علومه، حتى ظهرت كتب تجمع عدداً منها، ثم جاءت محاولة استقصاء علومه عند الزركشي (ت794هـ)، ثم عند البلقيني (ت824هـ)، ثمَّ خُتِم الأمر بالسيوطي (ت911هـ)، ولا يعني هذا تأخر الكتابة في علوم القرآن، إذ قد يكون فيه من الكتب ما هو على منوال هذا الجمع الذي يذهب إلى الاجتهاد في استقصاء علومه لكننا لم نطلع عليه بعد.

وإن علوم القرآن لا زالت بحاجة إلى تنقيح وتحرير، فكم من موضوع يظنُّ القارئ أنه مما انتهى فيه الأمر، واتفقت فيه الكلمة، بل قد يَمُرُّ على ما يعارضه فلا ينتبه له؛ لأن الأفكار السابقة التي كونها من خلال قراءته قوية ومؤثرة بحيث صار العقل ينكر ما يتعارض مع هذه الأفكار أو يتجاهلها، فإذا دَخَلتْ هذه الموضوعات في محل النقاش والجدل العلمي بان ما فيها من حاجة إلى تحرير وتنقيح[1].

ويعد العلامة أبي شامة المقدسي من العلماء البارزين الذين اعتنوا بمباحث علوم القرآن وقد كان كتابه : المرشد الوجيز حافلاً بقضايا علوم القرآن من قراءات وناسخ ومنسوخ ونزول القرآن وجمعه وغيرها .

هذه الاسباب دعتني للكتابة عن مباحث علوم القرآن عند أبي شامة المقدسي في كتابه المرشد الوجيز

واقتضت طبيعة البحث أن يتكون من مقدمة ومبحثين وخاتمة

المقدمة: وذكرت فيها سبب اختيار الموضوع وخطة البحث.

المبحث الاول : كان عن أبي شامة المقدسي وكتابه.

المبحث الثاني : مباحث علوم القرآن في كتاب المرشد الوجيز

ثم الخاتمة وثبت المصادر والمراجع

وختاماً لعلي بذلت جهداً متواضعاً في هذا البحث ، فما كان فيه من صواب فمن الله وحده ، فله الحمد في الاولى والآخرة ، وما وجد فيه من خطأ أو زلل أو سهو فمن انفسنا والشيطان ونستغفر الله لذلك.

والله اسأل أن يجعل هذا العمل خالصاً لوجهه ، وأن يعلمنا ما ينفعنا ، وينفعنا بما علمنا إنه ولي ذلك والقادر عليه ، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

الباحث

[1] - المحرر في علوم القرآن، مساعد الطيار : 10/1

المبحث الاول : أبو شامة المقدسي وكتابه

المطلب الاول : حياته

هو عبد الرحمن بن إسماعيل بن إبراهيم بن عثمان، الإمام العلامة ذو الفنون شهاب الدين أبو شامة المقدسي الأصل، الدمشقي الشافعي الفقيه المقرئ النحوي؛ ولد سنة ست وتسعين وخمسمائة بدمشق [2] .

قَرَأَ الْقُرْآن وَله دون الْعشْر وَقَرَأَ الْقرَاءَات كلهَا سنة سِتّ عشرَة على الشَّيْخ علم الدّين السخاوِي وَسمع بالإسكندرية من أبي الْقَاسِم عِيسَى بن عبد الْعَزِيز وَغَيره وَحصل لَهُ سنة بضع وَثَلَاثِينَ عناية بِالْحَدِيثِ وَسمع أَوْلَاده وَقَرَأَ بِنَفسِهِ وَكتب الْكثير من الْعُلُوم وأتقن الْفِقْه ودرس وَأفْتى وبرع فِي الْعَرَبيَّة وصنف شرحاً نفيساً للشاطبية وَاخْتصرَ تَارِيخ دمشق مرَّتَيْنِ[3] وَتُوفِّي سنة خمس وَسِتِّينَ وست مائَة[4].

له مؤلفات كثيرة منها

المقاصد السنية في شرح الشيبانية في علم الكلام، ابراز المعاني في حرز الاماني في القراءات، كتاب الروضتين في اخبار الدولتين النورية والصلاحية، المحقق من علم الاصول فيما يتعلق بافعال الرسول.، ونظم المفصل للزمخشري في النحو[5].

(تراجم رجال القرنين السادس والسابع) و (مختصر تاريخ ابن عساكر) خمس مجلدات، و (المرشد الوجيز إلى علوم تتعلق بالكتاب العزيز) وكتابان في (تاريخ دمشق) أحدهما كبير في خمسة عشر جزءا والثاني في خمسة أجزاء. وله (إبراز المعاني) في شرح الشاطبية، و (الباعث على إنكار البدع والحوادث) و (كشف حال بني عبيد) الفاطميين و (الوصول في الأصول) و (مفردات القراء)

و(نزهة المقلتين في أخبار الدولتين: دولة علاء الدين السلجوقي، ودولة ابنه جلال الدين خوارزمشاه) بلغ فيه إلى حوادث سنة 659ه منه نسخة في خزانة محمد الطاهر بن عاشور، كتبت سنة 734ه كما في مذكرات حسن حسني عبد الوهاب الصمادحي التونسي، وغير ذلك. ووقف كتبه ومصنفاته جميعها في الخزانة العادلية بدمشق، فأصابها حريق التهم أكثرها، ولقب أبا شامة، لشامة كبيرة كانت فوق حاجبه الأيسر[6] .

اكتفي بهذا القدر عن التعريف بالعلامة ابي شامة المقدسي ؛لأنني ملزم بعدد من الاوراق يجب أن لا يتجاوزها البحث.

المطلب الثاني : كتابه المرشد الوجيز

اسم الكتاب "المرشد الوجيز إلى علوم تتعلق بالكتاب العزيز" يقول عنه مؤلفه : فهذا تصنيف جليل يحتاج إليه أهل القرآن، خصوصا من يعتني بعلم القراءات السبع ولا يعرف معنى هذه التسمية ولا ماذا نحاه الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بقوله: "أنزل القرآن على سبعة أحرف" ولا يدري ما كان الأمر عليه في قراءة القرآن وكتابته في حياة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى أن جمع بعده في خلافة أبي بكر ، ثم جمع في خلافة عثمان رضي الله

---

[2] - ينظر : فوات الوفيات ، محمد بن شاكر صلاح الدين : 270/2

[3] - ينظر : الوافي بالوفيات ، للصفدي : 68/18

[4] - المصدر نفسه

[5] - معجم المؤلفين ، عمر كحالة : 126/5

[6] - ينظر : الاعلام للزركلي : 299/3

عنهما، ولا يهتدي إلى ما فعله كل واحد منهما، وما الفرق بين جمعيهما، وما الضابط الفارق بين القراءات الشواذ وغيرها.
وأرجو أن يكون هذا التصنيف مشتملا على ذلك كله، قيما ببيانه مع فوائد أخر تتصل به، وبالله التوفيق.
وقد حصل مقصود هذا الكتاب في ستة أبواب: الباب الأول في البيان عن كيفية نزول القرآن وتلاوته وذكر حفاظه في ذلك الأوان.
الباب الثاني في جميع الصحابة رضي الله عنهم القرآن وإيضاح ما فعله أبو بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم.
الباب الثالث في معنى قول النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "أنزل القرآن على سبعة أحرف"، وشرح ذلك من كلام كل مصنف منصف.
الباب الرابع في معنى القراءات السبع المشهورة الآن وتعريف الأمر في ذلك كيف كان.
الباب الخامس في الفصل بين القراءة الصحيحة القوية والشاذة الضعيفة المروية.
الباب السادس في الإقبال على ما ينفع من علوم القرآن والعمل بها، وترك التعمق في تلاوة ألفاظه والغلو بسببها[7].
وقام بتحقيقه المحقق التركي : طيار آلتي قولاج
ونشرته دار صادر – بيروت سنة النشر: 1395 هـ - 1975 م.

المبحث الثاني
مباحث علوم القرآن في كتاب المرشد الوجيز

المطلب الاول : نزول القرآن

عقد ابو شامة – رحمه الله – الباب الأول من كتابه المرشد الوجيز: في البيان عن كيفية نزول القرآن وتلاوته وذكر حفاظه في ذلك الأوان
وذكر الآيات التي تحدثت عن نزول القرآن في شهر رمضان ، وليلة مباركة ، وليلة القدر ، ووجه الأقوال ورد على القائلين بأن القرآن نزل في ليلة النصف من شعبان او غير ذلك..
فقال : (فليلة القدر هي الليلة المباركة وهي في شهر رمضان جمعا بين هؤلاء الآيات؛ إذ لا منافاة بينها، فقد دلت الأحاديث الصحيحة على أن ليلة القدر في شهر رمضان، وأمر النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالتماسها في العشر الأخير منه [8] ، ولا ليلة أبرك من ليلة، هي خير من ألف شهر. فتعين حمل قوله سبحانه: {فِي لَيْلَةٍ مُبَارَكَةٍ}[9] على ليلة القدر. كيف، وقد أرشد إلى ذلك قوله تعالى: {فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ}[10] ، فهو موافق لمعنى تسميتها بليلة القدر؛ لأن

[7] - مقدمة كتاب المرشد الوجيز
[8] - عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: «التَمِسُوهَا فِي العَشْرِ الأَوَاخِرِ مِنْ رَمَضَانَ لَيْلَةَ القَدْرِ ...) صحيح البخاري ، باب تحري ليلة القدر : 47/3 برقم 2021
[9] - سورة الدخان : 3
[10] - سورة الدخان : 4

معناه التقدير، فإذا ثبت هذا، علمت أنه قد أبعد من قال: الليلة المباركة هي ليلة النصف من شعبان)[11]

واستدل ابو شامة بأثر عن ابن عباس – رضي الله عنهما - إنه أنزل في رمضان وفي ليلة القدر وفي ليلة مباركة جملة واحدة، ثم أنزل بعد ذلك على مواقع النجوم رسلا في الشهور والأيام[12].

واستدل ايضا برواية عن قتادة – رض- أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: "أنزلت صحف إبراهيم عليه السلام أول ليلة من شهر رمضان، وأنزلت التوراة لست مضين من شهر رمضان، وأنزل الإنجيل لثلاث عشرة خلت من شهر رمضان، وأنزل الزبور لثماني عشرة خلت من شهر رمضان، وأنزل القرآن لأربع وعشرين خلت من شهر رمضان"[13].

وقال ابو شامة : (وفي المقصود بالإنزال الخاص المضاف إلى ليلة القدر أقوال:

أحدها: أنه ابتدئ إنزاله فيها.

والثاني: أنه أنزل في عشرين ليلة من عشرين سنة)[14]

وذكر ايضا أقوال العلماء[15] :

قال ابن جبير : نزل القرآن كله من السماء العليا إلى السماء السفلى ثم فصل في السماء السفلى في السنين التي نزل فيها.

قال قتادة: كان بين أوله وآخره عشرون سنة، ولهذا قال: {لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ}[16]

وقيل: فرقناه أي جعلناه آية آية وسورة سورة، وقيل: فصلناه أحكاما، كقوله تعالى: {فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ}[17] ، أي يفصل، وقيل: "فرقناه" بالتشديد أي أنزلناه مفرقا، على مكث على تؤدة وترسل ونزلناه تنزيلا: أي نجما بعد نجم، وقيلك جعلناه منازل ومراتب ينزل شيئا بعد شيء ولو أخذوا بجميع الفرائض في وقت واحد لنفروا[18].

قال أبو شامة : (هو من قولهم: نجم عليه الدية أي قطعها، ومنه نجوم الكتابة، فلما قطع الله سبحانه القرآن وأنزله مفرقا قيل لتفاريقه نجوم، ومواقعها: مساقطها، وهي أوقات نزولها، وقد قيل: إن المراد {بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ} مغارب نجوم السماء، والله أعلم)[19]

وذكر أبو شامه أن أول ما نزل على النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: {اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ}[20] ، وذلك بحراء عند ابتداء نبوته، ويجوز أن يكون قوله: {أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآن} إشارة إلى كل ذلك، وهو كونه أنزل جملة إلى السماء الدنيا وأول نزوله إلى الأرض وعرضه وإحكامه في شهر رمضان، فقويت ملابسة شهر رمضان للقرآن، إنزالا جملة وتفصيلا

---

[11] - المرشد الوجيز إلى علوم تتعلق بالكتاب العزيز ، أبي شامة المقدسي ، تحقيق طيار آلتي قولاج ، دار صادر بيروت 1975 : 9/1

[12] - الاسماء والصفات للبيهقي : 574/1

[13] - مسند الامام احمد : 191/28

[14] - المرشد الوجيز : 14/1

[15] - المصدر نفسه

[16] - سورة الاسراء من الآية : 106

[17] - سورة الدخان : 4

[18] - ينظر : تفسير الطبري : 576/17

[19] - المرشد الوجيز : 18/1

[20] - سورة العلق : 1

وعرضا وإحكاما، فلم يكن شيء من الأزمان تحقق له من الظرفية للقرآن ما تحقق لشهر رمضان، فلمجموع هذه المعاني[21] .

وبين أبو شامة السر في إنزال القرآن جملة الى السماء الدنيا فقال :

(فيه تفخيم لأمره وأمر من أنزل عليه، وذلك بإعلام سكان السماوات السبع أن هذا آخر الكتب، المنزل على خاتم الرسل لأشرف الأمم، قد قربناه إليهم لننزله عليهم، ولولا أن الحكمة الإلهية اقتضت وصوله إليهم منجما بحسب الوقائع لم نهبط به إلى الأرض جملة كسائر الكتب المنزلة قبله، ولكن الله تعالى باين بينه فجمع له الأمرين إنزاله جملة ثم إنزاله مفرقا)[22].

وذكر ابو شامة في أي زمان نزل جملة إلى السماء الدنيا، أبعد ظهور نبوة محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أم قبلها؟ وأجاب بأن كلاهما محتمل وعلل ذلك بقوله : (الظاهر أنه قبلها، وكلاهما محتمل، فإن كان بعدها، فالأمر على ما ذكرناه من التفخيم له ولمن أنزل عليه، وإن كان قبلها، ففائدته أظهر وأكثر؛ لأن فيه إعلام الملائكة بقرب ظهور أمة أحمد المرحومة الموصوفة في الكتب السالفة، وإرسال نبيهم خاتم الأنبياء كما أعلم الله سبحانه وتعالى الملائكة قبل خلق آدم بأنه جاعل في الأرض خليفة)[23].

وذكر كلام حسن للحكيم الترمذي[24] : أنزل القرآن جملة واحدة إلى السماء الدنيا تسليما منه للأمة ما كان أبرز لهم من الحظ بمبعث محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وذلك أن بعثة محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كانت رحمة، فلما خرجت الرحمة بفتح الباب جاءت بمحمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وبالقرآن، فوضع القرآن ببيت العزة في السماء الدنيا ليدخل في حد الدنيا، ووضعت النبوة في قلب محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وجاء جبريل عليه السلام بالرسالة ثم الوحي، كأنه أراد تبارك وتعالى أن يسلم هذه الرحمة التي كانت حظ هذه الأمة من الله تعالى إلى الأمة، ثم أجرى من السماء الدنيا الآية بعد الآية عند نزول النوائب، قال الله تعالى: {وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِين}[25]

وقال عز وجل: {يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدىً وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ}[26] [27].

المطلب الثاني : أول ما نزل وآخر ما نزل من القرآن

ذكر أبو شامة أن أول ما نزل على النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من القرآن أول سورة {اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ} ، نزل ذلك عليه بحراء عند ابتداء نبوته ثم نزل {يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّر} ثم صار ينزل منه شيء فشيء بحسب الوقائع والنوازل مكيا، ومدنيا حضرا وسفرا[28].

---

[21] - المصدر نفسه : 24/1

[22] - المصدر نفسه : 24/1

[23] - المصدر نفسه : 25/1

[24] - الحكيم الترمذي: محمَّد بن عليّ بن بشير الزاهد المعروف بـ"الحكيم الترمذي" -وليس صاحب "السنن" وهو الإمَامُ، الحَافِظُ، العَارِفُ، الزَّاهِدُ، عاش إلى حدود العشرين وثلاثمائة وعاش نحوًا من تسعين سنة . ينظر : سير أعلام النبلاء : 467/10 ، لسان الميزان لابن حجر : 308/5

[25] - سورة الانبياء :107

[26] - سورة يونس : 57

[27] - ينظر : المرشد الوجيز : 26/1

وذكر آخر ما نزل من الآيات {وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ} الآية، وقيل: {يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلَالَةِ}[29] إلى آخرها، وقيل: {لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ}[30] إلى آخر الآيتين ، وقيل آيات الربا .

ورجح أبو شامة القول الأول وعلل ذلك بقوله : (لأن {وَاتَّقُوا يَوْمًا} هي آخرهن، ونزل يوم عرفة في حجة الوداع: {الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُم} الآية. واستدل بقول ابن عباس – رضي الله عنهما- قال ابن عباس: آخر آية أنزلت من القرآن: {وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ} ، قال: زعموا أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مكث بعدها تسع ليال، وبدئ به يوم السبت ومات يوم الاثنين[31].

وروي عن ابن شهاب قال: آخر القرآن عهدًا بالعرش آية الربا وآية الدين.

ووجه أبو شامة ذلك بقوله : (يعني من آيات الأحكام، والله أعلم)[32].

المطلب الثالث

الاحرف السبعة

في معنى قول النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "أنزل القرآن على سبعة أحرف"[33]

سرد أبو شامه الاحاديث الواردة بنزول القرآن على سبعة أحرف ومن هذه الاحاديث :

1- عن ابن شهاب قال: حدثني عبيد الله بن عبد الله أن عبد الله بن عباس حدثه أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: "أقرأني جبريل عليه السلام على حرف واحد فراجعته فلم أزل استزيده ويزيدني حتى انتهى إلى سبعة أحرف"[34]

2- عن عروة بن الزبير أن المسور بن مخرمة وعبد الرحمن بن عبد القاري حدثاه أنهما سمعا عمر بن الخطاب يقول: سمعت هشام بن حكيم يقرأ سورة الفرقان في حياة رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فاستمعت لقراءته، فإذا هو يقرأ على حروف كثيرة لم يقرئنيها رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فكدت أساوره في الصلاة، فتصبرت حتى سلم، فلببته بردائه فقلت: من أقرأك هذه السورة التي سمعتك تقرأ؟ قال: أقرأنيها رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. فقلت: كذبت، فإن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قد أقرأنيها على غير ما قرأت، فانطلقت به أقوده إلى رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقلت: إني سمعت هذا يقرأ "سورة الفرقان" على حروف لم تقرئنيها، فقال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لعمر: "أرسله"، فأرسله عمر فقال لهشام: "اقرأ يا هشام"، فقرأ عليه القراءة التي سمعته يقرأ، فقال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "كذلك أنزلت"، ثم قال: "اقرأ يا عمر"، فقرأت

---

[28] - ينظر : المصدر نفسه :31/1

[30] - سورة التوبة : 128

[31] - ينظر : المرشد الوجيز : 32/1

[32] - المصدر نفسه : 33/1

[33] - صحيح مسلم ، باب بيان ان القرآن على سبعة أحرف : 560/1 برقم 818.

[34] - صحيح البخاري : باب أنزل القرآن على سبعة أحرف ، 184/6 برقم 4991، صحيح مسلم : باب بيان أن القرآن على سبعة أحرف 561/1 برقم 819

القراءة التي أقرأني، فقال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "كذلك أنزلت، إن هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف فاقرءوا ما تيسر منه"[35]

3- وفي صحيح مسلم أيضا عن ابن أبي ليلى عن أبي بن كعب أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان عند أضاة بني غفار[36] ، فأتاه جبريل عليه السلام فقال: إن الله يأمرك أن تقرأ أمتك القرآن على حرف فقال: "أسأل الله معافاته ومغفرته وإن أمتي لا تطيق ذلك"، ثم أتاه الثانية فقال: إن الله تعالى يأمرك أن تقرأ أمتك القرآن على حرفين فقال: "أسأل الله معافاته ومغفرته وإن أمتي لا تطيق ذلك"، ثم جاءه الثالثة فقال: إن الله يأمرك أن تقرأ أمتك القرآن على ثلاثة أحرف فقال: "أسأل الله معافاته ومغفرته وإن أمتي لا تطيق ذلك"، ثم جاءه الرابعة فقال: إن الله يأمرك أن تقرأ أمتك القرآن على سبعة أحرف، فأيما حرف قرءوا عليه فقد أصابوا)[37]

وذكر غيرها من الاحاديث ، وذكر أما الأخبار التي وردت في إجازة قراءة "غفور رحيم" بدل "عليم حكيم"، فلأن جميع ذلك مما نزل به الوحي، فإذا قرأ ذلك في غير موضعه فكأنه قرأ آية من سورة، وآية من سورة أخرى، فلا يأثم بقراءتها كذلك ما لم يختم آية عذاب بآية رحمة، ولا آية رحمة بآية عذاب[38].

ووجه ابو شامه هذا القول بقوله : (وكان هذا سائغا قبل جمع الصحابة المصحف تسهيلا على الأمة حفظه؛ لأنه نزل على قوم لم يعتادوا الدرس والتكرار وحفظ الشيء بلفظه، بل هم قوم عرب فصحاء يعبرون عما يسمعون باللفظ الفصيح.

ثم إن الصحابة رضي الله عنهم خافوا من كثرة الاختلاف، وألهموا، وفهموا أن تلك الرخصة قد استغني عنها بكثرة الحفظة للقرآن، ومن نشأ على حفظه صغيرا فحسموا مادة ذلك بنسخ القرآن على اللفظ المنزل غير اللفظ المرادف له، وصار الأصل ما استقرت عليه القراءة في السنة التي توفي فيها رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بعد ما عارضه به جبريل عليه السلام في تلك السنة مرتين، ثم اجتمعت الصحابة على إثباته بين الدفتين، وبقي من الأحرف السبعة التي كان أبيح قراءة القرآن عليها ما لا يخالف المرسوم، وهو ما يتعلق بتلك الألفاظ من الحركات والسكنات والتشديد والتخفيف وإبدال حرف بحرف يوافقه في الرسم، ونحو ذلك؛ وما لا يحتمله المرسوم الواحد فرق في المصاحب فكتب بعضها على رسم قراءة، وبعضها على رسم قراءة أخرى، وأمثلة ذلك كله معروفة عند العلماء بالقراءات، وصح عن زيد بن ثابت رضي الله عنه وعن غيره أنه قال: إن القراءة سنة)[39]

وأكد ذلك ابن العربي بقوله : (سقط جميع اللغات والقراءات إلا ما ثبت في المصحف بإجماع من الصحابة وما أذن فيه قبل ذلك ارتفع وذهب والله أعلم)[40]

---

[35] - صحيح البخاري : باب أنزل القرآن على سبعة أحرف ، 6/ 184 برقم 4992

[36] - أضاة بني غفار) بفتح الهمزة، وبضاد معجمة مقصورة: أي عند مُستَنقع مائهم. قال بن سِيدَهْ: الأضَاة: الماء المُستَنقِعُ من سَيْلٍ، أو غيره. والجمع أضَوَاتٌ . ينظر : ذخيرة العقبى في شرح المجتبى ، محمد بن علي الاثيوبي : 193/12

[37] - صحيح مسلم : باب أن القرآن على سبعة أحرف ، 562/1 برقم 821

[38] - المرشد الوجيز : 89/1

[39] - المرشد الوجيز : 90/1

[40] - القبس ، ابو بكر بن العربي : ص 46

وذكر أبو شامة خلاف العلماء من المراد بالأحرف السبعة واختار الرأي الراجح ، ومن الأقوال التي ذكرها هي :

1- قول أبي عبيد القاسم بن سلام رحمه الله تعالى في كتاب "غريب الحديث": قوله سبعة أحرف يعني سبع لغات من لغات العرب، وليس معناه أن يكون في الحرف الواحد سبعة أوجه، هذا لم نسمع به قط، ولكن نقول: هذه اللغات السبع متفرقة في القرآن، فبعضه نزل بلغة قريش، وبعضه نزل بلغة هوازن، وبعضه بلغة هذيل، وبعضه بلغة أهل اليمن، وكذلك سائر اللغات، ومعانيها في هذا كله واحدة، قال: ومما يبين ذلك قول ابن مسعود رضي الله عنه: "إني سمعت القرأة فوجدتهم متقاربين، فاقرءوا كما علمتم، إنما هو كقول أحدكم هلم وتعالى" ، وكذلك قال ابن سيرين: "إنما هو كقولك هلم وتعالى وأقبل"، ثم فسره ابن سيرين فقال: في قراءة ابن مسعود "إن كانت إلا زقية واحدة"، وفي قراءتنا: {صَيْحَةً وَاحِدَةً} ، فالمعنى فيهما واحد، وعلى هذا سائر اللغات[41] .

2- وقال في كتاب "فضائل القرآن": وليس معنى تلك السبعة أن يكون الحرف الواحد يقرأ على سبعة أوجه، هذا شيء غير موجود، ولكنه عندنا أنه نزل على سبع لغات متفرقة في جميع القرآن من لغات العرب، فيكون الحرف منها بلغة قبيلة، والثاني بلغة أخرى سوى الأولى، والثالث بلغة أخرى سواهما، كذلك إلى سبعة[42].

واستشهد أبو عبيد بحديث عن أنس بن مالك أن عثمان رحمة الله عليه قال للرهط القرشيين الثلاثة حين أمرهم أن يكتبوا المصاحف: ما اختلفتهم فيه أنتم وزيد بن ثابت فاكتبوه بلسان قريش، فإنه نزل بلسانهم[43].

ورد عليه أبو شامة المقدسي :يعني أول نزوله قبل الرخصة في قراءته على سبعة أحرف[44].

3- وأما الكلبي فإنه يروي عنه عن أبي صالح عن ابن عباس قال: نزل القرآن على سبع لغات، منها خمس بلغة العجز من هوازن .

قال أبو عبيد: والعجز هم سعد بن بكر، وجشم بن بكر، ونصر بن معاوية، وثقيف، وهذه القبائل هي التي يقال لها: عليا هوازن، وهم الذين قال فيهم أبو عمرو بن العلاء : أفصح العرب عليا هوازن وسفلى تميم. فهذه عليا هوازن، وأما سفلى تميم فبنو دارم، فهذه سبع قبائل[45].

وقال ابو شامة : (قلت: والكعبان كعب بن لؤي من قريش، وكعب بن عمرو من خزاعة)[46].

4- وقال أبو جعفر محمد بن سعدان النحوي : معنى قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "أنزل القرآن على سبعة أحرف" مشكل لا يدرى معناه؛ لأن العرب تسمي الكلمة المنظومة حرفا، وتسمي القصيدة بأسرها كلمة، والحرف يقع على الحرف المقطوع من الحروف

---

41 - غريب القرآن : 11/2

42 - فضائل القرآن : 346/1

43 - سنن الترمذي : 136/5 ، وقال هذا حديث حسن صحيح .

44 - المرشد الوجيز : 92/1

45 - ينظر : المرشد الوجيز : 93/1

46 - المصدر نفسه.

المعجمة، والحرف أيضا المعنى والجهة كقوله تعالى: {وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ}[47] أي على جهة من الجهات ومعنى من المعاني.

5- وعن أيوب السختياني أنه قال: معنى قوله تعالى: {إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ} أراد العرب كلهم[48].

6- وقد قال بعض الشيوخ: الواضح من ذلك أن يكون الله تعالى أنزل القرآن بلغة قريش ومن جاورهم من فصحاء العرب، ثم أباح للعرب المخاطبين به المنزل عليهم أن يقرءوه بلغاتهم التي جرت عادتهم باستعمالها على اختلافهم في الألفاظ والإعراب، ولم يكلف بعضهم الانتقال من لغة إلى غيرها لمشقة ذلك عليهم، ولأن العربي إذا فارق لغته التي طبع عليها يدخل عليه الحمية من ذلك، فتأخذه العزة، فجعلهم يقرءونه على عاداتهم وطباعهم ولغاتهم منا منه عز وجل لئلا يكلفهم ما يشق عليهم، فيتباعدوا عن الإذعان، وكان الأصل على ما عهد رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من الألفاظ والإعراب جميعا مع اتفاق المعنى، فمن أجل ذلك جاء في القرآن ألفاظ مخالفة ألفاظ المصحف المجمع عليه، كالصوف وهو "العهن" ، وزقية وهي "صيحة" ، وحططنا وهي "وضعنا" ، وحطب جعنم وهي "حصب" ونحو ذلك، فقبض رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وكل رجل منهم متمسك بما أجازه له صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وإن كان مخالفا لقراءة صاحبه في اللفظ، وعول المهاجرون والأنصار ومن تبعهم على العرضة الأخيرة التي عرضها رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على جبريل عليه السلام في العام الذي قبض فيه، وذلك أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان يعرض عليه في كل سنة مرة جميع ما أنزل عليه فيها إلا في السنة التي قبض فيها، فإنه عرض عليه مرتين[49].

قال أبو شامة : (وهذا كلام مستقيم حسن، وتتمته أن يقال:

أباح الله تعالى أن يقرأ على سبعة أحرف ما يحتمل ذلك من ألفاظ القرآن وعلى دونها ما يحتمل ذلك من جهة اختلاف اللغات وترادف الألفاظ توسيعا على العباد، ولهذا كان النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول لما أوحي إليه أن يقرأه على حرفين وثلاثة: "هون على أمتي ... " على ما سبق ذكره في أول الباب، فلما انتهى إلى سبعة وقف، وكأنه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ علم أنه لا يحتاج من ألفاظه لفظة إلى أكثر من ذلك غالبا، والله أعلم)[50]

وقال ايضاً : (إنما أبيح أن يقرأ بغير لسان قريش توسعة على العرب، فلا ينبغي أن يوسع على قوم دون قوم، فلا يكلف أحد إلا قدر استطاعته، فمن كانت لغته الإمالة، أو تخفيف الهمز، أو الإدغام، أو ضم ميم الجمع، أو صلة هاء الكناية، أو نحو ذلك فكيف يكلف غيره؟ وكذا كل من كان من لغته أن ينطق بالشين التي كالجيم، والجيم التي كالكاف، ونحو ذلك، فهم في ذلك بمنزلة الألثغ[51] والأرت[52]، لا يكلف ما ليس في وسعه، وعليه أن يتعلم ويجتهد، والله أعلم)[53].

---

[47] - سورة الحج : من الآية 11

[48] - المرشد الوجيز : 94/1

[49] - صحيح البخاري ، باب كان جبريل يعرض القرآن على النبي صلى الله عليه وسلم : 186/6 .

[50] - المرشد الوجيز : 9/1

[51] - الألثغ: الَّذِي لَا يَسْتَطِيع أَن يتَكَلَّم بالراء.
وَقيل: هُوَ الَّذِي يَجْعَل الرَّاء فِي طرف لِسَانه، أَو يَجْعَل الصَّاد فَاء.
وَقيل: هُوَ الَّذِي يتحوّل لِسَانه عَن السِّين إِلَى الثَّاء.

7- وقيل: فيه وجه آخر، وهو أن المراد به التوسعة، ليس حصرًا للعدد[54].

وأيد أبو شامة هذا القول بقوله : (هذا موافق لما سبق تقريره على ما روي عن علي وابن عباس رضي الله عنهم، وهو كما قيل في معنى قوله تعالى: {إِنْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ}[55] إنه جرى كالمثل في التعبير عن التكثير، لا حصرا في هذا العدد، والله أعلم)[56].

ونكتفي بهذا القدر بخصوص الأحرف السبعة؛ لأن المقام لا يسمح بالأطناب والمسألة فيها توسع في كتب التفسير وعلوم القرآن.

المطلب الرابع القراءات

تكلم أبو شامة عن القراء السبعة و ما العلة التي من أجلها اشتهر هؤلاء السبعة بالقراءة دون من هو فوقهم، فنسبت إليهم السبعة الأحرف مجازًا، وصاروا في وقتنا أشهر من غيرهم ممن هو أعلى درجة منهم وأجل قدرًا؟ ".

فقال : (فالجواب: أن الرواة عن الأئمة من القراءة كانوا في العصر الثاني والثالث كثيرا في العدد، كثيرًا في الاختلاف، فأراد الناس في العصر الرابع أن يقتصروا من القراءات التي توافق المصحف على ما يسهل حفظه وتنضبط القراءة به، فنظروا إلى إمام مشهور بالثقة والأمانة في النقل وحسن الدين وكمال العلم، واشتهر أمره وأجمع أهل مصره على عدالته فيما نقل، وثقته فيما قرأ وروى، وعلمه بما يقرئ به، ولم تخرج قراءته عن خط مصحفهم المنسوب إليهم، فافردوا من كل مصر وجه إليه عثمان رضي الله عنه مصحفا إماما، هذه وقراءته في مصحف ذلك المصر)[57].

ثم قال: "فإن سأل سائل: لم جعل القراء الذين اختيروا للقراءة سبعة؟ ألا كانوا أكثر أوأقل؟ ".

"فالجواب: أنهم جعلوا سبعة لعلتين:

"إحداهما: أن عثمان رضي الله عنه كتب سبعة مصاحف ووجه بها إلى الأمصار، فجعل عدد القراء على عدد المصاحف".

"والثانية: أنه جعل عددهم على عدد الحروف التي نزل بها القرآن، وهي سبعة على أنه لو جعل عددهم أكثر أو أقل لم يمتنع ذلك؛ إذ عدد الرواة الموثوق بهم أكثر من أن يحصى"[58].

وكان أبو بكر بن مجاهد أول من اقتصر على هؤلاء السبعة، وصنف كتابه في قراءاتهم، واتبعه الناس على ذلك، ولم يسبقه أحد إلى تصنيف قراءة هؤلاء السبعة"[59]

وذكر أبو شامه رأي أبو بكر الأشعري رحمه الله:

وَقيل: هُوَ الَّذِي لَا يَتمّ رَفْع لِسَانه فِي الْكَلَام، وَفِيه ثقل.

وَقيل: هُوَ الَّذِي لَا يُبين الْكَلَام. المحكم والمحيط الاعظم ، ابن سيده : 487/5.

[52] - الأرتُّ الذي في لسانه عُقْدة وحُبْسة وَيَعْجَل في كلامه فلا يطاوعه لسانهُ. المعجم الاشتقاقي المؤصل : د. محمد حسن جبل : 749/2

[53] - المرشد الوجيز : 97/1

[54] - ينظر : معالم السنن للخطابي :

[55] - سورة التوبة من الآية 80

[56] - المرشد الوجيز : 99/1

[57] - المرشد الوجيز : 156/1

[58] - المرشد الوجيز : 158/1

[59] - ينظر : جمال القراء ، للسخاوي : 1/ 158

"جميع ما قرأ به قراء الأمصار مما اشتهر عنهم واستفاض نقله ولم يدخل في حكم الشذوذ، ولم يقع بين القراء تناكر له، ولا تخطئه لقارئه، بل رواه سائغا جائزًا من همز وإدغام ومد وتشديد وحذف وإمالة، أو ترك كل ذلك، أو شيء منه، أو تقديم وتأخير، فإنه كله منزل من عند الله تعالى ومما وقف الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على صحته وخير بينه وبين غيره وصوب جميع القراءة به. ولو سوغنا لبعض القراء إمالة ما لم يمله الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ والصحابة أو غير ذلك، لسوغنا لهم مخالفة جميع قراءة الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ".

وأطال الكلام في تقرير ذلك، وجوز أن يكون الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقرئ واحدًا بعض القرآن بحرف، وبعضه بحرف آخر على قدر ما يراه أيسر على القارئ.

فظهر لي من هذا: أن اختلاف القراء في الشيء الواحد مع اختلاف المواضع من هذا على قدر ما رووا، وأن ذلك المتلقن له من النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على ذلك الوجه أقرأ غيره كما سمعه، ثم من بعده كذلك إلى أن اتصل بالسبعة[60].

وينص أبو شامة على أن القراءات الصحيحة المعتبرة المجمع عليها، قد انتهت إلى السبعة القراء المقدم ذكرهم، واشتهر نقلها عنهم لتصديهم لذلك وإجماع الناس عليهم، فاشتهروا بها كما اشتهر في كل علم من الحديث والفقه والعربية أئمة اقتدي بهم وعول فيها عليهم

ونحن فإن قلنا: إن القراءات الصحيحة إليهم نسبت وعنهم نقلت، فلسنا ممن يقول: إن جميع ما روي عنهم يكون بهذه الصفة، بل قد روي عنهم ما يطلق عليه أنه ضعيف وشاذ بخروجه عن الضابط المذكور باختلال بعض الأركان الثلاثة، ولهذا ترى كتب المصنفين في القراءات السبع مختلفة في ذلك، ففي بعضها ذكر ما سقط في غيرها، والصحيح بالاعتبار الذي ذكرناه موجود في جميعها إن شاء الله تعالى فلا ينبغي أن يغتر بكل قراءة تعزى إلى واحد من هؤلاء الأئمة السبعة ويطلق عليها لفظ الصحة، وإن هكذا أنزلت إلا إذا دخلت في ذلك الضابط، وحينئذ لا ينفرد بنقلها مصنف عن غيره ولا يختص ذلك بنقلها عنهم، بل إن نقلت عن غيرهم من القراء، فذلك لا يخرجها عن الصحة. فإن الاعتماد على استجماع تلك الأوصاف، لا عمن تنسب إليه [61].

المطلب الخامس نسخ القرآن

يقول ابن فارس : (النُّونُ وَالسِّينُ وَالْخَاءُ أَصْلٌ وَاحِدٌ، إِلَّا أَنَّهُ مُخْتَلَفٌ فِي قِيَاسِهِ)[62]

والنَّسْخُ: إزالةُ شَيْءٍ بِشَيْءٍ يَتَعَقَّبُهُ، كنَسْخ الشَّمْسِ الظِّلَّ، والظِّلِّ الشمسَ، والشَّيْبِ الشَّبَابَ. فَتَارَةً يُفْهَمُ منه الإزالة، وتَارَةً يُفْهَمُ منه الإثباتُ، وتَارَةً يُفْهَم منه الأَمْرَانِ. ونَسْخُ الكتاب: إزالة الحُكْمِ بحكم يَتَعَقَّبُهُ[63].

يقول عبد العظيم الزرقاني عن هذا العلم : (الإلمام بالناسخ والمنسوخ بكشف النقاب عن سير التشريع الإسلامي ويطلع الإنسان على حكمة الله في تربيته للخلق وسياسته للبشر

[60] - ينظر : المرشد الوجيز : 166/1

[61] - المرشد الوجيز : 173/1

[62] - مقاييس اللغة : 424/5

[63] - المفردات في غريب القرآن ، الراغب الاصفهاني : 801/1

وابتلائه للناس مما يدل دلالة واضحة على أن نفس محمد النبي الأمي لا يمكن أن تكون المصدر لمثل هذا القرآن ولا المنبع لمثل هذا التشريع إنما هو تنزيل من حكيم حميد)[64].

وقال ايضاً : (معرفة الناسخ والمنسوخ ركن عظيم في فهم الإسلام وفي الاهتداء إلى صحيح الأحكام خصوصا إذا ما وجدت أدلة متعارضة لا يندفع التناقض بينها إلا بمعرفة سابقها من لاحقها وناسخها من منسوخها ولهذا كان سلفنا الصالح يعنون بهذه الناحية يحذقونها ويلفتون أنظار الناس إليها ويحملونهم عليها)[65]

ويقول أبو شامة : (وأما ما نسخ من القرآن فعلى ثلاثة أضرب: منه ما نسخت تلاوته وبقي حكمه، ومنه ما نسخت تلاوته وحكمه، وزانك كآيتي الرجم والرضاع

ففي الصحيح عن عمر رضي الله عنه قال: إن الله بعث محمدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالحق، وأنزل عليه الكتاب، فكان مما أنزل عليه آية الرجم فقرأتها وعقلتها ووعيتها)[66]

وفي صحيح مسلم عن عائشة رضي الله عنها: كان مما أنزل من القرآن: "عشر رضعات معلومات يحرمن". ثم نسخن بـ"خمس معلومات يحرمن"، فتوفي النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وهن مما يقرأ من القرآن[67].

قال الحافظ البيهقي: فالعشر مما نسخ رسمه وحكمه، والخمس مما نسخ رسمه بدليل أن الصحابة حين جمعوا القرآن لم يثبتوها رسما، وحكمها باقٍ عندنا.

قال: وقولها " ... وهن مما يقرأ من القرآن"، يعني عند من لم يبلغه نسخ تلاوته قرآنا[68].

وقال أبو شامة : (هذا تأويل حسن)[69].

الضرب الثالث: ما نسخ حكمه وبقيت تلاوته[70] كآية عدة الوفاة حولا نسخت بالآية التي قبلها التي ذكر فيها {أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا}

وفي صحيح البخاري عن عبد الله بن الزبير قال: قلت لعثمان بن عفان رضي الله عنه الآية التي في البقرة: {وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا وَصِيَّةً لِأَزْوَاجِهِمْ مَتَاعًا إِلَى الْحَوْلِ غَيْرَ إِخْرَاجٍ} ، لِمَ تكتبها وقد نسختها الآية الأخرى؟ قال: يابن أخي، لا أغير شيئا عن مكانه[71].

قال القاضي أبو بكر بن الطيب: "الذي نذهب إليه أن جميع القرآن الذي أنزله الله تعالى وأمر بإثبات رسمه ولم ينسخه ويرفع تلاوته بعد نزوله هو هذا الذي بين الدفتين، الذي حواه مصحف عثمان أمير المؤمنين رضي الله عنه، وأنه لم ينقص منه شيء ولا زيد فيه، وأن بيان الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان بجميعه بيانا شائعا ذائعا وواقعا على طريقة واحدة، ووجه تقوم به الحجة وينقطع العذر، وأن الخلف نقله عن السلف على هذه السبيل، وأنه قد

---

[64] - مناهل العرفان : 174/2

[65] - المصدر نفسه

[66] - المرشد الوجيز : 1/ 42- 43، صحيح البخاري ، باب رجم الحبلى من الزنا : 168/8 برقم 6830

[67] - صحيح مسلم ، باب التحريم بخمس رضعات : 1075/2 برقم 1452

[68] - دلائل النبوة : 157/7

[69] - المرشد الوجيز : 43/1

[70] - المصدر نفسه : 44/1

[71] - صحيح البخاري ، باب (والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجا) : 29/6 برقم 4530

نسخ منه بعض ما كانت تلاوته ثابتة مفروضة، وأن ترتيبه ونظمه ثابت على ما نظمه الله سبحانه ورتبه عليه رسوله من آي السور، لم يقدم من ذلك مؤخر، ولا آخر منه مقدم، وأن الأمة ضبطت عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ترتيب آي كل سورة ومواضعها وعرفت مواقعها، كما ضبطت عنه نفس القرآن وذات التلاوة، وأنه قد يمكن أن يكون الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قد رتب سوره على ما انطوى عليه مصحف عثمان، كما رتب آيات سوره، ويمكن أن يكون قد وكل ذلك إلى الأمة بعده، ولم يتول ذلك بنفسه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وإن هذا القول الثاني أقرب وأشبه بأن يكون حقا على ما سنبينه فيما بعد إن شاء الله تعالى، وإن القرآن لم يثبت آيه على تاريخ نزوله، بل قدم ما تأخر إنزاله، وأخر بعض ما تقدم نزوله على ما قد وقف عليه الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من ذلك"[72]

مطلب السادس جمع القران

ذكر أبو شامة – رحمه الله- السبب الذي دعا الصحابة – رضي الله عنهم- لجمع القرآن والذي رواه البخاري في صحيحه عَنْ عُبَيْدِ بْنِ السَّبَّاقِ، أَنَّ زَيْدَ بْنَ ثَابِتٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: «أَرْسَلَ إِلَيَّ أَبُو بَكْرٍ مَقْتَلَ أَهْلِ اليَمَامَةِ، فَإِذَا عُمَرُ بْنُ الخَطَّابِ عِنْدَهُ» ، قَالَ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: إِنَّ عُمَرَ أَتَانِي فَقَالَ: إِنَّ القَتْلَ قَدْ اسْتَحَرَّ يَوْمَ اليَمَامَةِ بِقُرَّاءِ القُرْآنِ، وَإِنِّي أَخْشَى أَنْ يَسْتَحِرَّ القَتْلُ بِالقُرَّاءِ بِالْمَوَاطِنِ، فَيَذْهَبَ كَثِيرٌ مِنَ القُرْآنِ، وَإِنِّي أَرَى أَنْ تَأْمُرَ بِجَمْعِ القُرْآنِ، قُلْتُ لِعُمَرَ: «كَيْفَ تَفْعَلُ شَيْئًا لَمْ يَفْعَلْهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟» قَالَ عُمَرُ: هَذَا وَاللَّهِ خَيْرٌ، «فَلَمْ يَزَلْ عُمَرُ يُرَاجِعُنِي حَتَّى شَرَحَ اللَّهُ صَدْرِي لِذَلِكَ، وَرَأَيْتُ فِي ذَلِكَ الَّذِي رَأَى عُمَرُ» ، قَالَ زَيْدٌ: قَالَ أَبُو بَكْرٍ: إِنَّكَ رَجُلٌ شَابٌّ عَاقِلٌ لاَ نَتَّهِمُكَ، وَقَدْ كُنْتَ تَكْتُبُ الوَحْيَ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَتَتَبَّعِ القُرْآنَ فَاجْمَعْهُ، «فَوَاللَّهِ لَوْ كَلَّفُونِي نَقْلَ جَبَلٍ مِنَ الجِبَالِ مَا كَانَ أَثْقَلَ عَلَيَّ مِمَّا أَمَرَنِي بِهِ مِنْ جَمْعِ القُرْآنِ» ، قُلْتُ: «كَيْفَ تَفْعَلُونَ شَيْئًا لَمْ يَفْعَلْهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟» ، قَالَ: هُوَ وَاللَّهِ خَيْرٌ، " فَلَمْ يَزَلْ أَبُو بَكْرٍ يُرَاجِعُنِي حَتَّى شَرَحَ اللَّهُ صَدْرِي لِلَّذِي شَرَحَ لَهُ صَدْرَ أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، فَتَتَبَّعْتُ القُرْآنَ أَجْمَعُهُ مِنَ العُسُبِ وَاللِّخَافِ، وَصُدُورِ الرِّجَالِ، حَتَّى وَجَدْتُ آخِرَ سُورَةِ التَّوْبَةِ مَعَ أَبِي خُزَيْمَةَ الأَنْصَارِيِّ لَمْ أَجِدْهَا مَعَ أَحَدٍ غَيْرِهِ، {لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ}[73] حَتَّى خَاتِمَةِ بَرَاءَةَ، فَكَانَتِ الصُّحُفُ عِنْدَ أَبِي بَكْرٍ حَتَّى تَوَفَّاهُ اللَّهُ، ثُمَّ عِنْدَ عُمَرَ حَيَاتَهُ، ثُمَّ عِنْدَ حَفْصَةَ بِنْتِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ "[74]

وفي تفسير الطبري: " عن خارجة بن زيد بن ثابت عن أبيه قال: فأمرني أبو بكر فكتبته في قطع الأدم وكسر الأكتاف والعسب، فلما هلك أبو بكر وكان عمر كتب ذلك في صحيفة واحدة فكانت عنده. فلما هلك كانت الصحيفة عند حفصة ...

ثم أرسل عثمان إلى حفصة يسألها أن تعطيه الصحيفة فأعطته إياها، فعرض المصحف عليها، فلم يختلفا في شيء، فردها إليها وطابت نفسه[75]

---

[72] - كتاب الانتصار للقرآن ، ابو بكر الباقلاني : 59/1

[73] - سورة التوبة : 128

[74] - صحيح البخاري : باب جمع القرآن ، 183/6 برقم 4986

[75] - تفسير الطبري : 59/1

وذكر أبو شامة حديث البخاري الذي دعا عثمان بن عفان – رضي الله عنه- لتوحيد نسخ المصحف

أَنَّ حُذَيْفَةَ بْنَ اليَمَانِ، قَدِمَ عَلَى عُثْمَانَ وَكَانَ يُغَازِي أَهْلَ الشَّأْمِ فِي فَتْحِ أَرْمِينِيَةَ، وَأَذْرَبِيجَانَ مَعَ أَهْلِ العِرَاقِ، فَأَفْزَعَ حُذَيْفَةَ اخْتِلاَفُهُمْ فِي القِرَاءَةِ، فَقَالَ حُذَيْفَةُ لِعُثْمَانَ: يَا أَمِيرَ المُؤْمِنِينَ، أَدْرِكْ هَذِهِ الأُمَّةَ، قَبْلَ أَنْ يَخْتَلِفُوا فِي الكِتَابِ اخْتِلاَفَ اليَهُودِ وَالنَّصَارَى، فَأَرْسَلَ عُثْمَانُ إِلَى حَفْصَةَ: «أَنْ أَرْسِلِي إِلَيْنَا بِالصُّحُفِ نَنْسَخُهَا فِي المَصَاحِفِ، ثُمَّ نَرُدُّهَا إِلَيْكِ» ، فَأَرْسَلَتْ بِهَا حَفْصَةُ إِلَى عُثْمَانَ، فَأَمَرَ زَيْدَ بْنَ ثَابِتٍ، وَعَبْدَ اللَّهِ بْنَ الزُّبَيْرِ، وَسَعِيدَ بْنَ العَاصِ، وَعَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ الحَارِثِ بْنِ هِشَامٍ فَنَسَخُوهَا فِي المَصَاحِفِ "، وَقَالَ عُثْمَانُ لِلرَّهْطِ القُرَشِيِّينَ الثَّلاَثَةِ: «إِذَا اخْتَلَفْتُمْ أَنْتُمْ وَزَيْدُ بْنُ ثَابِتٍ فِي شَيْءٍ مِنَ القُرْآنِ فَاكْتُبُوهُ بِلِسَانِ قُرَيْشٍ، فَإِنَّمَا نَزَلَ بِلِسَانِهِمْ» فَفَعَلُوا حَتَّى إِذَا نَسَخُوا الصُّحُفَ فِي المَصَاحِفِ، رَدَّ عُثْمَانُ الصُّحُفَ إِلَى حَفْصَةَ، وَأَرْسَلَ إِلَى كُلِّ أُفُقٍ بِمُصْحَفٍ مِمَّا نَسَخُوا، وَأَمَرَ بِمَا سِوَاهُ مِنَ القُرْآنِ فِي كُلِّ صَحِيفَةٍ أَوْ مُصْحَفٍ، أَنْ يُحْرَقَ)[76]

وذكر أبو شامة قول علي رضوان الله عليه: لو وليت لفعلت في المصاحف الذي فعل عثمان. وفي رواية أخرى لو وليت من أمر المصاحف ما ولي عثمان لفعلت ما فعل عثمان[77].

ويعقب أبو شامة على هذا الجمع بقوله : (واعلم أن حاصل ما شهدت به الأخبار المتقدمة وما صرحت به أقوال الأئمة أن تأليف القرآن على ما هو عليه الآن كان في زمن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بإذنه وأمره، وأن جمعه في الصحف خشية دثوره بقتل قرائه كان في زمن أبي بكر رضي الله عنه، وأن نسخه في مصاحف حملا للناس على اللفظ المكتوب حين نزوله بإملاء المنزل إليه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ومنعا من قراءة كل لفظ يخالفه كان في زمن عثمان رضي الله عنه، وكأن أبا بكر كان غرضه أن يجمع القرآن مكتوبا مجتمعا غير مفرق على اللفظ الذي أملاه رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على كتبة الوحي ليعلم ذلك، ولم يكل ذلك إلى حفظ من حفظه خشية فنائهم بالقتل، ولاختلاف لغاتهم في حفظهم على ما كان أبيح لم من قراءته على سبعة أحرف ، فلما ولي عثمان وكثر المسلمون وانتشروا في البلاد وخيف عليهم الفساد من اختلافهم في قراءاتهم لاختلاف لغاتهم حملهم عثمان على ذلك اللفظ الذي جمعه زيد في زمن أبي بكر، وبقي ما عداه ليجمع الناس على قراءة القرآن على وفق ما نزل على محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ولا يكثر فيه التصرف، فيتفاحش تغيره، وتنمحق ألفاظه المنزلة. ولهذا قال أبو مجلز لاحق بن حميد رحمه الله -وهو من جلة تابعي البصرة-: يرحم الله عثمان، لو لم يجمع الناس على قراءة واحدة لقرأ الناس القرآن بالشعر)[78].

الخاتمة

الحمد لله الذي وفقني لإتمام هذا البحث وقد توصلت الى عدة نتائج أذكر منها:

1- يعد كتاب المرشد الوجيز من الكتب المهمة في علوم القرآن لما تناوله من موضوعات مهمة .
2- اعتنى المؤلف بعلم القراءات وبين معنى الاحرف السبعة.

[76] - صحيح البخاري : باب جمع القرآن ، 183/6، 4987
[77] - المرشد الوجيز : 53/1
[78] - المصدر نفسه : 1/ 70

3- للمؤلف آراء مهمة في جمع القرآن والناسخ والمنسوخ دونها في هذا الكتاب.
4- لم يكن المؤلف مجرد ناقل بل ينقل الاقوال وينقدها ويرجح مايراه صوابا.

وختاماً لعلي بذلت جهداً متواضعاً في هذا البحث ، فما كان فيه من صواب فمن الله وحده ، فله الحمد في الاولى والآخرة ، وما وجد فيه من خطأ أو زلل أو سهو فمن انفسنا والشيطان ونستغفر الله لذلك.

والله أسأل أن يجعل هذا العمل خالصاً لوجهه ، وأن يعلمنا ما ينفعنا ، وينفعنا بما علمنا إنه ولي ذلك والقادر عليه ، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

المصادر والمراجع

القرآن الكريم

1- الأسماء والصفات للبيهقي ، أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني، أبو بكر البيهقي (المتوفى: 458هـ) حققه وخرج أحاديثه وعلق عليه: عبد الله بن محمد الحاشدي، الناشر: مكتبة السوادي، جدة - المملكة العربية السعودية، 1993م.
2- الاعلام ، خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الزركلي الدمشقي (المتوفى: 1396هـ) ، دار العلم للملايين ،2002م.
3- الانتصار للقرآن ، محمد بن الطيب بن محمد بن جعفر بن القاسم، القاضي أبو بكر الباقلاني المالكي (المتوفى: 403هـ) ، تحقيق: د. محمد عصام القضاة ، الناشر: دار الفتح - عَمَّان، دار ابن حزم – بيروت ، 2001م.
4- جامع البيان في تأويل آي القرآن، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (المتوفى: 310هـ) ، تحقيق أحمد شاكر ، مؤسسة الرسالة ، 2000م.
5- الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه - صحيح البخاري - محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي ، المحقق:

محمد زهير بن ناصر الناصر ،الناشر: دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي) 1422ه
6- جمال القراء وكمال الإقراء ، علي بن محمد بن عبد الصمد الهمداني المصري الشافعي، أبو الحسن، علم الدين السخاوي (المتوفى: 643هـ) تحقيق: د. مروان العطيَّة - د. محسن خرابة ، الناشر: دار المأمون للتراث - دمشق – بيروت 1997م.
7- دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة ، أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني، أبو بكر البيهقي (المتوفى: 458هـ) ، دار الكتب العلمية – بيروت ، 1405ه.
8- سنن الترمذي ، محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك، الترمذي، أبو عيسى (المتوفى: 279هـ) المحقق: بشار عواد معروف ، دار الغرب الاسلامي ، 1998م.
9- سير أعلام النبلاء ، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي (المتوفى : 748هـ) تحقيق : مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة ، 1985م.
10- شرح سنن النسائي المسمى «ذخيرة العقبى في شرح المجتبى»، محمد بن علي بن آدم بن موسى الإثيوبي الوَلَّوِي ، دار المعراج ، 1996م.
11- فضائل القرآن ، أبو عُبيد القاسم بن سلاّم بن عبد الله الهروي البغدادي (المتوفى: 224هـ) تحقيق: مروان العطية، ومحسن خرابة، ووفاء تقي الدين ، الناشر: دار ابن كثير (دمشق - بيروت) 1995م.
12- فوات الوفيات ، محمد بن شاكر بن أحمد بن عبد الرحمن بن شاكر بن هارون بن شاكر الملقب بصلاح الدين (المتوفى: 764هـ) تحقيق احسان عباس ، دار صادر ، بيروت ، 1974.
13- القبس في شرح موطأ مالك بن أنس ، القاضي محمد بن عبد الله أبو بكر بن العربي المعافري الاشبيلي المالكي (المتوفى: 543هـ) المحقق: الدكتور محمد عبد الله ولد كريم ، دار الغرب الاسلامي 1992م.
14- لسان الميزان ، أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني (المتوفى: 852هـ) المحقق: دائرة المعرف النظامية – الهند ، لناشر: مؤسسة الأعلمي للمطبوعات بيروت – لبنان، 1971م.
15- المحرر في علوم القرآن، مساعد الطيار ، د. مساعد بن سليمان الطيار ، الناشر: مركز الدراسات والمعلومات القرآنية بمعهد الإمام الشاطبي الطبعة: الثانية، 1429 هـ - 2008 م.

16- المحكم والمحيط الأعظم ، أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسي [ت: 458هـ] المحقق: عبد الحميد هنداوي ، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت 2000م.
17- المرشد الوجيز إلى علوم تتعلق بالكتاب العزيز ، أبو القاسم شهاب الدين عبد الرحمن بن إسماعيل بن إبراهيم المقدسي الدمشقي المعروف بأبي شامة (المتوفى : 665هـ) المحقق : طيار آلتي قولاج ، دار صادر بيروت ، 1975م.
18- مسند الإمام أحمد بن حنبل ، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (المتوفى: 241هـ) ، تحقيق احمد شاكر ، دار الحديث ، القاهرة ، 1995م.
19- المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (المتوفى: 261هـ) ، المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي ،الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت ، د.ت
20- معالم السنن ، المؤلف: أبو سليمان حمد بن محمد بن إبراهيم بن الخطاب البستي المعروف بالخطابي (المتوفى: 388هـ) ، الناشر: المطبعة العلمية – حلب ، 1932م.
21- المعجم الاشتقاقي المؤصل لألفاظ القرآن الكريم (مؤصَّل ببيان العلاقات بين ألفاظ القرآن الكريم بأصواتها وبين معانيها) المؤلف: د. محمد حسن حسن جبل ، الناشر: مكتبة الآداب – القاهرة 2010م.
22- معجم المؤلفين ، عمر رضا كحالة ، الناشر: مكتبة المثنى - بيروت، دار إحياء التراث العربي بيروت ، د.ت
23- المفردات في غريب القرآن ، أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهانى (المتوفى: 502هـ) ، المحقق: صفوان عدنان الداودي ، الناشر: دار القلم، الدار الشامية - دمشق بيروت 1412ه.
24- مقاييس اللغة ، أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين (المتوفى: 395هـ) ، المحقق: عبد السلام محمد هارون ، الناشر: دار الفكر 1997م.
25- مناهل العرفان في علوم القرآن ، محمد عبد العظيم الزُّرْقاني (المتوفى: 1367هـ) ، ط3، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه ، د.ت.
26- الوافي بالوفيات ، صلاح الدين خليل بن أيبك بن عبد الله الصفدي (المتوفى: 764هـ) تحقيق أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى ، دار احياء التراث العربي ، بيروت ، 2000م.

abstract

My study sheds light on one of the books, Almurshid Alwajeez, written by a well-known scholar , Almaqdisi, who was known for his works and opinions in Quran interpretation and sciences. In his book, Almaqdisi mentioned a lot of Quran sciences which is a very significant topic that never been discussed . My paper titled " A study in the researches of Quran sciences of Almaqdisi" in his book Almurshid Aleajeez .

The first chapter is about Almaqdisi and his book Almurshid Alwajeez and in the second chapter I discussed the Quran sciences he coveted in his book .

Finally I talked about the outcomes of my study and the recommendations.